Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يشيد بالتشبيه الذى يكتشف التقارب من خلال التباعد فيجمع بين مثلين متباينين ، ومؤتلفين مختلفين[٢٩] ، فإنه يرتكز على فلسفة تقربه من الاستعارة ، غير أنه لا يلبث أن يتوكأ على الاستدلال المنطقى المجافى بطبيعته للإدراك الشعرى ، وهذا نفسه هو ماورط عبد القاهر فى إصراره على أن التشبيه التمثيلى ينبغى أن يكون وجه الشبه فيه عقليًّا ، وقد اكتفى سائر البلاغيين بوجه الشبه المنتزع من عدة أشياء ، دون ما شرطه عبد القاهر فى استسلامه لنزعته الأصولية المنطقية ، التى دخلت فى صراع مع ذوقه الفنى ، ولقد كانت النماذج الشعرية التى يضرب بها المثل فى الجودة طرفا فى هذا الاضطراب ، حيث تتحقق شرائط الجودة الصماء فى تشبيهات تعيسة ميتة ، فالشمس كالمرآة فى كف الأشل ، والقمر كزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر ، والعقد فى جيد الحسناء كالجمرات ، وأزهار البنفسج كأوائل النار فى أطراف كبريت ! ! . إن الطرافة والندرة مطلب عزيز ، ولكنه مطلب مغرر يمكن أن يقود إلى العقم ، فما السبيل ؟ .

« واعلم أنى لست أقول لك إنك متى ألفت الشيء ببعيد عنه فى الجنس على الجملة فقد أصبت وأحسنت ، ولكن أقوله بعد تقييد وبعد شرط ، وهو أن تصيب بين المختلفين فى الجنس وفى ظاهر الأمر شبها صحيحا معقولا ، وتجد للملاءمة والتأليف السوى بينهما مذهبا وإليهما سبيلا ، وحتى يكون ائتلافهما الذى يوجب تشبيهك من حيث العقل والحدس فى وضوح اختلافهما من حيث العين والحس ، فأما أن تستكره الوصف وتروم أن تصوره حيث لا يتصور ، فلا ، لأنك فى ذلك بمنزلة الصانع الأخرق فى تأليفه وصوغه الشكل بين شكلين لا يلائمانه ولا يقبلانه ، حتى تخرج الصورة مضطربة ، وتجيء فيهانتوّ ، ويكون للعين عنها من تفاوتها نبو ، وإنما قيل شبهت ، ولا تعنى فى كونك مشبها أن تذكر حرف التشبيه أو تستعير ، إنما تكون مشبها بالحقيقة بأن ترى الشبه وتبينه ، ولا يمكنك بيان مالا يكون ، وتمثيل مالا تتمثله الأوهام والظنون . ولم أرد بقولى : « إن الحذق فى إيجاد الائتلاف بين المختلفات فى الأجناس » أنك تقدر أن تحدث هناك مشابهة ليس لها أصل فى العقل ، وإنما المعنى أن هناك مشابهات خفية يدق المسلك إليها ، فإذا تغلغل فكرك فأدركها فقد استحققت الفضل ، ولذلك يشبه المدقق فى المعانى كالغائص على الدر »[٣٠] .

---

(٢٩) السابق ص ٢٤٦ .

(٣٠) أسرار البلاغة ص ٢٣٧ .